أزمنة مختلفة لرجل واحد

عبد الكريم الناعم

مهداة للدكتور جمال خضور

● (صباحاً)
قُرىً يَرتدي حلمَها الانكسارُ
ويطفو بماءِ الهواءِ صِغار السَّمَكْ
دروبٌ تَشَظَّتْ، / عِبادٌ جياعٌ، /
عناقيدُ بَوْحٍ تَجِفُّ بآبَ، /
تُسافِرُ في جريان الهواءِ اللّحُومُ
ويبقَى الحَسَكْ
سماءٌ كما زُرقة الانبهارِ، بحجمِ البلادِ

ولكنّها تستحيلُ إلى ثُقْبِ فَأْرٍ رديءٍ
تَضيقُ على أَنَّةٍ في (العَتابا)
وأرضٌ بحجمِ حكايات جدّ،
يطوّفُ فيها (المهَلْهِلُ)[1] ، و(البهلوانُ)[1] ،
و(سيفُ بنُ ذي يَزَنٍ)[1] ، والذي أَزَّ في
صَدْرِ طاغِيةٍ من عُلُوج (حَمَاةَ) رصاصةَ
ثأرٍ ففارتْ دماءُ
ولم يَدْرِ كيفَ تصيرُ الدماءُ سرابا.

غيومٌ إذا أمطرتْ حنَّ طِفلُ البراري، /
الزرازيرُ تَصْعَدُ في حُلْكَةٍ من غيومِ المساءِ، /
الحكاياتُ تَدْخُلُ بين البيوتِ
تضيءُ العَشَايا
مساءٌ يمدّدِ أشجانَه في عراءِ الشتاءِ،
وطفلٌ كما غجريّ غريب تَسَلَّقَ شَجْرَةَ دِلْب
وراحَ يغنّي لأحلى الصّبايا
فجاءتْ إليه الدّواري تشاكِسُهُ بالمناقيرِ نَقْراً
طريّاً، / فحنَّ، / فأشعَلَ غُصْنَاً
وطَفَّ، /
ومازالَ بين الغصونِ وأوّلِ دِفْءِ
التّرابِ ينوس قليلا قليلاً
يقولُ الرّواةُ، ــ إذا حنَّ راوٍ-
يقولونَ عنهُ كلاماً جميلا.

● و.... (ظُهراً)
تجيءُ الحواري، / الزّواريبُ، / تنأى النّواعيرُ
عنه،
بيوتٌ من اللّبْنِ والوجعِ الآدميّ، /
لأسرابها قبّةٌ من ضلوعٍ تُدَنْدِنُ فيها
بشائرُ وَرْدٍ،
تُهَوِّمُ في مشتهاها فصولُ الأماني
كما جرسٍ من رقائق وَردٍ وفَوْحِ أغاني.
له غَدُهُ الحُلْمُ بينَ كتابٍ ودفترِ خُبزٍ،
وشَجْرَةِ توتٍ تُهيّءُ رُكناً لَهَجْعَةِ
ظُهْرٍ نظيفٍ،
له الزعترُ البلدّيُ،
اندهاشُ شهوقِ المباني وقد أذهلَتْهُ،
كرومٌ تُعَتّقُ خمرتَها للزمانِ الجليل
يقومُ مع الظّهر ظِلاً شفيفاً
فتصفو الظّلالُ
ويصفو الأصيلْ.

على فُسحةٍ في تخوم المدينةِ كانت ثقوبٌ، /
ونايٌ بغيرِ ثقوب،
وطائرُ ذكرى نحيلٍ نحيلْ
ثيابٌ ترجَّلَ لونُ الخيوطِ عن الشّكلِ فيها

(١) أبطال السيرَ الشعبية المعروفة.

فقامت إلى ظِلّها في الخفاءِ
ونامتْ بعُرْيٍ ثقيلٍ ثقيلْ

يجيءُ إلى التّوتِ: تخرُجُ فيه الثّيابُ
إلى شُرْفَةِ الاكتمالِ الجموحِ ،
تُسَابِقُ حُلْمَ الحقولِ
فتأتي إليهِ طيورُ الحقولْ

على فسحةٍ في تخومِ المدينةِ كان . . ، /
إلى ضيقِ ثُقْبٍ إلى آخرِ (الشامِ) ينأى، /
وكانتْ على أوّلِ الانعطافِ، /
إلى نجمةٍ في فضاءِ الثّلوجِ شمالاً،
وكانت تَأَلّقُ حتى انبهارِ الشقائقِ ،

. . . . . .

بعضُ التّفاصيلِ أشفى لأنّ الحروفَ تضيقُ
قليلاً إذا مسّها البوحُ ليلاً،
وفي الليلِ حين يُراقُ على أبيضِ النّبضِ
أَسْوَدُ حِبْرِ الحزانى

تَئِنُّ الحروفُ

أنينٌ كما صَوْتُ بابٍ عتيقٍ ،
ولحنٌ شجيٌّ ، خفيٌّ ، شفيفُ

● و . . . (عصراً)
ولم يدخلِ العصرُ برجَ الزّوالِ ،
ولم يخرجِ التّوتُ من لحنِهِ السّكريّ،
يقومُ إلى شمعةٍ من عبيرِ الحقولِ ،
يهيّءُ لِلّيْلِ وردةَ ضوءٍ
لكي لا يكونَ الزمانُ ظلاماً سحيقاً،
ويحفظُ بعضَ معاني الرّبيعِ

مخافةَ أنَّ الزمانَ الخريفُ

و . . . (عَصراً)
توقّفْ مع (العصر) وقتاً يناسِبُ
حزنَ الخُزامى ،
وقِفْ بالحرائِقِ تأتي كما زَلْزَلَ الدارَ
شيءٌ عنيفُ

فثمّة (عصرٌ) جديدٌ ، مخيفُ.

حمص

. . . والرجل الذي هو طول الباب قال لي غسّله وتركني وراح. وكان الميّت على اللوح الخشب بجوار البير. وعندما غسّلته تزحلق مني ووقع في البير.

صاح عبد الله:

ـ يا خبر، وقع في البير؟

ـ آه، وقع في البير، أنا لمّا وقع منّي في البير، أحضرت الحبل وربطته في رقبته وربطت الحبل في العجلة. ولفّيت العجلة قبل أن يعود الرجل. والحبل خلع دماغه من جسمه.

صرخ عبد الله:

ـ يا نهار أزرق.

ـ آه ـ وعندما حضر الرجل رأى وقال لي لا تخف. وأحضرنا الخيط والإبرة الكبيرة وركّبنا رأسه في جسمه. لكن رأينا أنّ رأسه رُكّب خطأ. قفاه كان محلّ وجهه ووجهه أصبح محلّ قفاه.